الموروث الشعبي في القصص القصيرة في كتاب فوق بلاد السواد لأزهر جرجيس.

م.د سيف الدين ناصر
جامعة واسط – الادارة والاقتصاد

المُستخلص:
يتناول هذا البحث أهمية الموروث الشعبي في القصص القصيرة لأزهر جرجيس، مُبرزاً تأثيره العميق على تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للشعب العراقي، إذ يستعرض البحث كيفية استنباط جرجيس للعناصر التقليدية مثل الحكايات والأساطير، مُسلطاً الضوء على دورها الفاعل في تطوير شخصيات وأحداث تعكس عمق التجارب الإنسانية، يتضمن البحث تحليلًا فنيًا واجتماعيًا يُظهر دور الأدب في الحفاظ على القيم والعادات، ويسلط الضوء على كيفية تفاعل الموروث الشعبي مع السياقات الحياتية المعاصرة، وتكشف الدراسة عن التوترات بين القيم التقليدية والتغيرات الحديثة، مُظهرةً أن الموروث لا يمثل مجرد ذاكرة ماضية، بل هو قوة نابضة تؤثر في تشكيل الهوية الثقافية، مما يجعل أدب جرجيس جسراً يربط الماضي بالحاضر، وينتهي البحث بعرض تأثير هذا الموروث في تشكيل وعي الأفراد وفهمهم لواقعهم الاجتماعي والسياسي.

الكلمات المفتاحية: الموروث الشعبي، القصة القصيرة، كتاب، فوق بلاد السواد.

The Folklore in Short Stories in the Book Above the Land of Darkness by Azhar Jurgis

Saifuddin Nasir
Wasit University_College of Administration and Economics
Gmail: skhazaal@uowasit.edu.iq
Workplace:
College of Administration and Economic

Abstract:
This research examines the importance of folklore in the short stories of Azhar Jirjis, highlighting its profound influence on shaping the cultural and social identity of the Iraqi people. The study explores how Jirjis draws upon traditional elements such as tales and legends, emphasizing their active role in developing characters and events that reflect the depth of human experience The research includes an artistic and social analysis demonstrating the role of literature in preserving values and customs, and sheds light on how folklore interacts with contemporary life contexts. The study reveals the tensions between traditional values and modern changes, showing that folklore is not merely a memory of the past, but a vibrant force that influences the formation of cultural identity. This makes Jirjis's literature a bridge connecting the past and present. The research concludes by presenting the impact of this folklore on shaping individuals' awareness and understanding of their social and political reality.

Keywords: Folklore, short story, book, Above the Land of Darkness.

المقدمة:

تعد القصص القصيرة واحدة من أبرز الفنون الأدبية التي تعكس تجارب الشعوب وهوياتهم الثقافية، إن الموروث الشعبي يلعب دورًا بارزًا في أعمال أزهر جرجيس، الذي يستلهم من تاريخ بلده وتجارب أفراده

لتقديم رؤى عميقة مبنية على قيم وأخلاقيات المجتمع، ومن خلال هذا الاستكشاف، يُمكن للقراء استيعاب التعقيدات التي تحيط بالهوية العراقية في زمن التحولات السريعة والمتلاحقة.
يهدف البحث إلى تحليل كيفية تجسيد العناصر التراثية في نصوص جرجيس، مما يعزز حس الانتماء والوعي الثقافي لدى الأفراد، كما يتناول كيفية تفاعل الأدب العراقي مع القضايا الاجتماعية المعاصرة، مُبرزًا أن الموروث الشعبي ليس فقط معبرًا عن التاريخ بل أيضًا مصدر إلهام للحاضر، وتتناول النصوص القصيرة لجُرجيس تجارب ثقافية غنية، إذ تعكس من خلالها التوترات والانسجام بين القيم التقليدية والتغيرات الاجتماعية، مما يسهم في رسم صورة معقدة للواقع المعاصر، ويتناول البحث أيضًا كيف يمكن للأدب أن يلعب دورًا فعالًا في الحفاظ على الهوية الثقافية وتعزيزها، ما يجعله أداة لفهم واقع الحياة في العراق اليوم وأهميته في تشكيل التجارب الإنسانية.

المبحث الأول

أولاً: الموروث الشعبي :

1-الموروث لغةً: يُعدّ مصطلح "الموروث" من صيغ اسم المفعول، ويشير في الاستعمال اللغوي إلى ما يخلّفه الإنسان بعد وفاته لينتقل إلى غيره. ويرتبط هذا اللفظ بالجذر اللغوي "ورث" الذي تناولته المعاجم العربية القديمة، حيث دارت معانيه حول انتقال الممتلكات أو غيرها من السابق إلى اللاحق. وقد أشار بعض اللغويين إلى أن لفظ "التراث" تحوّل صوتيًا، وأن تاءه أصلها الواو، مما يعيد الكلمة إلى أصلها المرتبط بالفعل "ورث" (أبو طالب، 2004، ص. 344).
وتُظهر المعاجم اللغوية تنوعًا في استعمالات هذا الجذر؛ إذ يُقال إن الشخص يرث غيره إذا انتقل إليه ماله أو ما يخصّه بعد موته، ويُسمّى من يحصل على ذلك "وارث"، وجمعه "ورثة" أو "وراث". كما يُطلق وصف "موروث" على المال أو الشيء المنتقل. ويُستخدم الفعل كذلك بصيغ أخرى مثل "أورثه"، أي جعله له أو خصّه به. وقد بيّن بعض أهل اللغة أن التوريث قد يتسع ليشمل إدخال فرد ضمن الورثة ومنحه نصيبًا، حتى وإن لم يكن منهم في الأصل (المقري، د.ت، ص. 654).
ولا يقتصر مفهوم الإرث على الجوانب المادية فحسب، بل يمتد ليشمل المعاني المعنوية، كالمجد والمكانة والعلم، فيُقال إن الشخص ورث المجد أو المكانة كما يرث المال. وهذا الاتساع في الدلالة يعكس شمولية المفهوم في اللغة العربية، إذ يشمل كل ما ينتقل من جيل إلى آخر، سواء كان محسوسًا أو معنويًا (مبروك، 1991، ص. 12)، وهو تحول الواو إلى تاء في كلمات من العربية، ولا تزال هذه الكلمة تستعمل عبر العصور، وأحياناً تُستبدل بكلمة الميراث. وقد زاد استخدام الكلمة في العصر الحديث بسبب اتجاه المفكرين والأدباء تجاه الماضي، متمثلًا في الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ. لذا، عادت الكلمة إلى معناها الوراثة لكنها اقتصرت على الجوانب الفكرية والحضارية (مبروك، 1991، ص. 15).
وبالتالي، يمكن القول إن الموروث في اللغة هو ما بقي للخلف عن السلف وما أورثوه لهم، سواء كان هذا الميراث ماديًا (مالاً) أم معنويًا (حسبًا أو مجدًا). والتراث بمفهومه البسيط هو خلاصة ما خلفته الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة. وهو، بحسب المنظور اللغوي، كل ما يخلفه الرجل لورثته، أي أبنائه وأهله من بعده، وهو قابل للإرث بحكم التقادم والانتقال.

2-اصطلاحاً:

إذا كان لفظ "الموروث" أو "التراث" في المعنى العربي القديم الذي أجمعت عليه المعاجم العربية قد ارتبط بما يخلفه الأب لأبنائه بعد موته مما يملكه من مال وغير ذلك، فإنه قد توسع مدلوله اللغوي والدلالي حديثًا وأصبح يعبر عن المعتقدات والعادات الاجتماعية الشائعة، وكذلك الرواية الشعبية يدل التراث الشعبي بصفة عامة على موضوعات الدراسة في الفولكلور، أو دراسة التراث الشعبي، أو الرواية الشعبية. ينبغي أن نرى الوحدة في كل هذه الموضوعات كونها تجسد جميع جوانب الثقافة الروحية (هولترانس، 1965، ص. 77)، ويشمل التراث الشعبي المعتقدات والعادات تمامًا كما يشمل الإبداع الشعبي، ويمثل بصفة عامة الموضوعات التي تنتمي إلى الفولكلور، وإلى دراسة التراث الشعبي، أو

دراسة الإبداع الشعبي. ومهما يكن من أمر، فإن الوحدة التي تنظم هذه الموضوعات كلها ينبغي أن تتضح في هذه الحقيقة: إن هذا التعريف يشمل جميع مجالات الثقافة الروحية (العنتيل، 1965، ص. 77)، وتعددت آراء الباحثين بخصوص تعريف الموروث الشعبي فعرفه البعض بأنه: "ما يخلفه الأجداد للأحفاد والأجيال السابقة لأجيال اللاحقة من عادات وتقاليد وروايات وثقافة شعبية" (فزازي، ص. 17). بينما عُرف أيضًا بأنه: "ما نقوم به أو ما نعتقده لأن الأجداد فعلوه أو آمنوا به" (دورتيه، 2011، ص. 214)، ومن الآراء الأخرى أن "التراث الشعبي هو التراث المنقول شفهيًا، المكون من العادات الشعبية والمعتقدات والموسيقى والرقص والأدب الشعبي بكل صنوفه، فهو الذي يتناقل شفهيًا ويشمل المعتقدات الشعبية والعادات والثقافة المادية، وبعض الأنماط من السلوك المتوارث مثل الفنون الشعبية كالرقص وما إلى ذلك من أساليب التعبير الحركي المختلفة" (نعمان، 2011، ص: 74)، كما اعتبره البعض دينًا وثقافةً ووحدةً، مضيفين عنصر الروحانية التي يشتمل عليها والتي تحوي القيم الأخلاقية السامية، مؤكدين أن هذا الجانب المعنوي ضروري في كل مشروع إحيائي (الرحمن، 1997، ص. 90)، وفي المجمل، يُعد الموروث الشعبي هو المحزون الثقافي المتوارث عبر الأجيال، كونه يمثل الأرضية المؤثرة في تصورات الناس وسلوكياتهم ومعتقداتهم، فهو ما خلفه السلف للخلف، فلازم مسيرة حياتهم وأثر فيهم. كما أنه الكفيل بحفظ هويتهم وثقافتهم الحضارية والروحية والفكرية، كونه يمثل الخلفية الثقافية الصلبة والمرنة للأمة، واقتران التراث بالماضي لا يعني أنه يمثل الماضي فقط دون الحاضر، بل هو أيضًا الحاضر والمستقبل، لأنه يمثل جذور الأمة الضاربة في أعماقها وضميرها الحي، الأمة لا تتقدم ولا تنمو ولا تتطور إلا بالرجوع أولاً وقبل كل شيء إلى تراثها، ومحاولة إحيائه والمحافظة عليه وصونه، لأنه كيانها.

ثانياً: الموروث الشعبي وأهميته في الهوية العراقية:

يعد الموروث الشعبي عنصراً أساسياً في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للشعب العراقي، فهو يتضمن مجموعة من الحكايات والأساطير والأمثال والأغاني والطقوس التي تعكس تجارب الأجيال المتعاقبة، كما يمثل هذا الموروث ذاكرة جماعية تحفظ القيم والتقاليد والتصورات الخاصة بالعالم، يساهم الموروث الشعبي في تعزيز الانتماء الوطني من خلال تسليط الضوء تنوعها الثقافي عبر العصور(.ينظر:جواد،1975،ص. 54)

لقد لعب الموروث الشعبي دوراً مهماً في تقوية الروابط بين مكونات المجتمع، مما جعل من التنوع عاملاً لدى الوحدة والقوة. ويظهر قدرة العراقيين على تحويل معاناتهم وتحدياتهم إلى رموز فنية وإبداعية تحمل رسائل الصمود، إن استدعاء هذا الموروث في الأدب والفنون الحديثة يُساهم في ضمان استمرارية الهوية، ويمنحها طابعاً متجدداً، كما يساعد في التصدي لمحاولات الطمس أو التهميش عبر إعادة إنتاجه في سياقات معاصرة، ومن خلال الموروث الشعبي، تتجلى الشخصية الحضارية للعراق التي تجمع بين الأصالة والقدرة على التكيف مع الحداثة ومن ثم، يصبح الموروث الشعبي ليس مجرد تراث جامد، بل قوة حيوية تساهم في بناء الهوية العراقية وصونها (عزيزة ،1980،ص. 18)

ثالثاً: القصة القصيرة كفن حديث قادر على استيعاب التراث:

تُعد القصة القصيرة واحدة من أبرز الفنون الأدبية الحديثة التي استطاعت أن تفرض وجودها في المشهد الثقافي العربي والعالمي، فهي فن يعتمد على التكثيف والإيجاز، مما يعكس قدرة الكاتب على تصوير لحظة إنسانية أو موقف اجتماعي في مساحة محدودة، وعلى الرغم من حداثة هذا الفن، إلا أنه لم ينفصل عن جذوره العميقة في التراث، بل وجد فيه مصدر إلهام غني يغذي موضوعاته ورموزه.(العبطة،1971،ص. 62)

استخدم كتّاب القصة القصيرة، بما فيهم الروائي العراقي أزهر جرجيس، عناصر الموروث الشعبي والأساطير والحكايات القديمة ليضفوا على نصوصهم بعداً أصيلاً ومعاصراً في آن واحد، فالقصة القصيرة لا تقتصر على التعبير عن الحاضر، بل تستوعب الماضي لتعيد صياغته بلغة جديدة تناسب القارئ الحديث، هذا التفاعل بين التراث والحداثة يمنح النص القصصي طاقة مزدوجة تجمع بين الأصالة والابتكار، كما أن القصة القصيرة قادرة على إعادة إنتاج القيم والمعاني التراثية في إطار نقدي يواكب

التحولات الاجتماعية والفكرية ومن هنا، تتجلى أهميتها كفن حديث يربط الأجيال ويجعل من التراث مادة حية قابلة للتأويل والتجديد (النتاج،د.ت،ص. 44).

رابعاً: أزهر جرجيس:

أزهر جرجيس هو أديب وروائي عراقي من مواليد بغداد سنة 1973، وقد انخرط في العمل الصحفي منذ عام 2003، حيث نشر العديد من المقالات والنصوص السردية في صحف ومجلات محلية وعربية. وفي عام 2005 أصدر كتابًا ساخرًا بعنوان الإرهاب.. الجحيم الدنيوي تناول فيه ظاهرة الجماعات المسلحة في العراق، وقد ترتب على نشره تعرّضه لمحاولة اغتيال، ما دفعه إلى مغادرة بلده.

بعد خروجه من العراق، تنقّل بين عدد من البلدان، فكانت محطته الأولى سوريا، ثم انتقل إلى مدينة الدار البيضاء، قبل أن يستقر لاحقًا في النرويج بشكل دائم. وهناك واصل نشاطه الأدبي، فأصدر مجموعتين قصصيتين هما صانع الحلوى (2017) وفوق بلاد السواد (2019)، كما نشر روايته الأولى النوم في حقل الكرز (2019)، التي حظيت باهتمام نقدي وبلغت القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية لعام 2020، إلى جانب صدور ترجمتها الإنجليزية عن دار بانيبال (جرجيس، 2019، ص. 18–22)

وفي عمله الروائي اللاحق، قدّم رواية حجر السعادة (2022)، التي وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية في دورتها لعام 2023. وإلى جانب مسيرته في الكتابة، يعمل جرجيس في مجال التحرير الأدبي والترجمة بين العربية والنرويجية.

المبحث الثاني
الجانب التطبيقي

أولاً: الجانب الفني:

يمثل الموروث الشعبي رافدًا أساسيًا للفن القصصي، إذ يمد السرد بعناصر الحكاية والأسطورة ويغني اللغة بالأمثال والأغاني والمواويل، مما يمنح النص حبكة متينة وإيقاعًا حيًا يعكس هوية المجتمع (سليمان، 1988،ص. 96)، وسنتناول الجانب الفني من محاور رئيسية هي الموروث الشعبي كمصدر سردي، والموروث الشعبي في اللغة والأسلوب، والشخصيات الشعبية.

1-الموروث الشعبي كمصدر سردي:

يشكل الموروث الشعبي معينًا ثريًا للسرد الأدبي، إذ يمد القصة بعناصر الحكاية والأسطورة ويمنحها حبكة أصيلة من خلاله، تتجدد اللغة والأسلوب ليعكسا هوية المجتمع ويمنحا النص عمقًا ثقافيًا متواصلًا(حنفي، 2002، ص. 63)، وفي هذا السياق سأعرض أهم المرتكزات التي يقوم عليها حضور الموروث الشعبي كمصدر سردي في القصص القصيرة للروائي أزهر جرجيس.

أ-الحكاية الشعبية وأثرها في بناء الحبكة:

الحكاية الشعبية من أهم مصادر السرد التي تمنح القصة القصيرة حبكة متماسكة، إذ توفر نماذج جاهزة للصراع والتطور ومن خلالها يستلهم الكاتب بنية قصصية أصيلة تعكس خبرة الجماعة وتغني النص الأدبي بالعمق والرمزية، وهذا ما قام به جرجيس.

ب-الأساطير والمرويات القديمة:

تُعدّ الأساطير والمرويات القديمة من أهم منابع السرد التي تمنح النص القصصي عمقًا رمزيًا وبنية دلالية غنية، فهي تعيد إحياء المخيال الجمعي وتوظّف الرموز التاريخية في بناء حبكة معاصرة ذات جذور أصيلة، وفي ضوء ما تقدم، سأعرض كيف تجلى حضور الأساطير والمرويات في الأعمال القصصية للروائي أزهر جرجيس في قصة "سائق الجنائز"، إذ يقول: كان مكي يسير في الطريق وهو يتملّكه الخوف، يتوقع في كل لحظة أن يظهر له الجن، يا عزيزتي. وبينما هو في تلك الحالة، باغتته صفعة على خده الأيسر ، تجمّد في مكانه، وبدأت قدماه ترتجفان من شدة الفزع، ثم أتت صفعة أخرى زادت من ارتباكه يا الله! ماذا فعل حينها؟ لا شيء تقريبًا؛ فقد شلّه الخوف تمامًا، حتى إنه لم يستطع إغلاق النافذة أو

إيقاف ما كان يتعرض له، لم يجد مكي أمامه سوى الاستعانة بما يحفظه من الأذكار، فبدأ يستحضر ما تعلّمه من تعاويذ الحفظ وطرد الجن، ويتمتم بها في محاولة لطمأنة نفسه وكان من بين ما كان يردده عادةً أنه بعد الانتهاء ينبغي أن ينفث على يمينه وعلى شماله، دون أن يدرك تمامًا سبب ذلك، سوى أنه تعلمه منذ صغره (جرجيس، 2019، ص 12، 13).

النص الذي يقدمه أزهر جرجيس في قصة "سائق الجنائز" أبان الحرب العراقية الإيرانية وكمية الشهداء الذين يوفدون إلى أهاليهم، هنا تأتي مهمة مكي الأقرع صاحب سيارة الكراون، يوظف جرجيس حضور الجن كرمز أسطوري يعكس المخاوف المتجذّرة في المخيال الشعبي. فالصفعات التي يتلقاها مكي ليست سوى تجسيد وهمي للرعب الداخلي أكثر من كونها حدثًا واقعيًا، وهو ما يبرز كيف تتحوّل الأساطير والمرويات إلى أدوات سردية تكشف هشاشة الإنسان أمام المجهول، واستدعاء التعويذات والتفل يمينًا وشمالًا يعبر عن استمرار الموروث القديم كوسيلة دفاع رمزية ضد القوى الغامضة، ليغدو النص بذلك رابطًا بين الموروث الشعبي والواقع النفسي للشخصية، ويمنح السرد عمقًا دلاليًا يوضح أثر الأساطير في تشكيل التجربة الإنسانية.

في نص آخر من قصة "رقصة نوفا"، ومع اشتداد نيران الحرب واشتغال آلة الموت على ضفاف الخليج، اضطر صبيح إلى مغادرة تلك البلاد هاربًا أغمض عينيه، وأصمّ أذنيه عمّا يجري خلفه، وتمتم بكلمات كان قد حفظها عن جدته نوفة، ثم انطلق بعيدًا ولم يخطر بباله وهو يعبر الحدود أنه قد يعود يومًا ليلتفت نحو تلك الأرض التي احترقت خلفه، غير أن ليلة واحدة قضاها في مركز استقبال اللاجئين بمدينة مالمو السويدية كانت كفيلة بأن تُبدد يقينه، وتجعله يدرك أن تميمة جدته لم تعد تجدي نفعًا ولا تمنح أي حماية (المصدر نفسه، ص. 30)، النص يكشف عن دور النساء في توريث الأبناء تمائم وأساليب حماية رمزية تستند إلى الموروث الشعبي والأساطير، حيث تمثل هذه الكليشة محاولة للاحتماء من جحيم الحرب. لكنه يبيّن في الوقت نفسه محدودية تلك المرويات أمام الواقع القاسي، إذ تتهاوى التعاويذ أمام تجربة اللجوء والاغتراب.

2-الموروث الشعبي في اللغة والأسلوب:

يشكّل الموروث الشعبي مصدراً غنياً للأساليب والتعابير التي تمنح النص الأدبي طابعًا أصيلًا، فالأمثال الشعبية تدخل في الحوار لتكثيف المعنى وإضفاء واقعية على الشخصيات والمواقف، كما تُوظَّف الأغاني والمواويل لتشكيل إيقاع سردي يربط النص بالوجدان الجمعي، وبذلك يصبح الموروث الشعبي عنصراً فنياً يثري اللغة ويجعلها أكثر قرباً من روح المجتمع (مرزوقة، 1989، ص. 87).

أ-الأمثال الشعبية داخل الحوار:

بعد أن تم فصل حسون من المدرسة بسبب كثرة غيابه وسلوكه السيئ، خرج إلى الشارع، وهناك بدأ بتشكيل عصابة أطلق عليها لاحقًا اسم: عصابة حسون الدردة. وكانت هذه العصابة تضم (شعيط ومعيط وجرار الخيط)، أي مجموعة متفرقة من الفتيان الذين جمعهم الطيش والفوضى أكثر من أي تنظيم أو هدف محدد (جرجيس، 2019، ص. 88) يوظّف أزهر جرجيس في القصص الأمثال الشعبية ليمنح السرد طابعاً واقعياً قريباً من لغة الناس اليومية، فذكره لعبارات مثل "شعيط ومعيط وجرار الخيط" يعكس كيف يُستخدم الموروث الشفاهي في تصوير الشخصيات الهامشية التي يجمعها حسون في عصابته، هذه الأمثال الشعبية تحمل دلالة على البساطة والضعف أو الهامشية، فهي تُطلق عادةً على أشخاص بلا قيمة أو تأثير، مما يضفي على النص بعداً نقدياً ساخراً يفضح هشاشة تلك العصابة ويجعلها أقرب إلى صورة كاريكاتورية من كونها قوة حقيقية. وفي نص آخر من القصة "غريب المؤمن" يقول: لم أصدق ما قاله لي سعدون السمين عن معلمي، فقبل نصف دقيقة كان الأخير يوبخني لأني أرتاد المقاهي، فقلت:

-سعدون .. بالله عليك أعد علي ما قلته للتو، فقال:

-مقهى الزعيم التي نلعب فيها الدومينو يملكها عرفان المؤمن.

(جرجيس، 2019، ص. 28)

المثل الشعبي العراقي "**ربطت بالدوشيش**" يُستخدم للدلالة على لحظة المفاجأة أو الصدمة التي تربك الإنسان وتجعله عاجزًا عن التصرف، وكأن شيئًا ما كبّله فجأة. في النص، يوظّف أزهر جرجيس هذا

المثل في قصة "غريب المؤمن" ليعكس حالة السارد حين اكتشف التناقض بين موقف المعلم الأخلاقي وبين حقيقة امتلاكه لمقهى تُمارس فيه ألعاب الدومينو، إدخال المثل الشعبي هنا يضفي على السرد واقعية وعمقاً محلياً، إذ يربط القارئ مباشرة بالذاكرة الجمعية ولغة الحياة اليومية، ويحوّل لحظة الدهشة إلى صورة مألوفة في الثقافة العراقية، مما يعزز الطابع الساخر والناقد للنص.

ب- الأغاني والمواويل كإيقاع سردي:

تتداخل الأغاني والمواويل في النصوص السردية بوصفها نبضاً شعبياً يختزن ذاكرة الجماعة، إنها ليست مجرد أصوات عابرة، بل إيقاعات تُعيد تشكيل الزمن وتربط الحكاية بوجدان الناس، وبهذا تتحول إلى خيطٍ سردي يوازن بين الحنين والواقع، بين الشفاهي والمكتوب، ذكر الروائي بعض المقاطع من الأغاني العراقية التي تعد من الموروث الشعبي في قصة "مؤمن الغريب"، إذ يقول: كنت أرى نفسي دائمًا وكأنني "غريب الأملح"، أذوب انبهارًا كلما مرّ طيف فتاة أمامي، وأجد في صوت ناظم الغزالي ما يوقظ في داخلي حالة من الطرب العميق. كان قلبي يرقص فرحًا كلما انطلقت أغنية: "ميحانة.. ميحانة.. غابت شمسنا.. الحلو ما جانه...".

وكنت يوميًا أقصد ذلك المقهى، حيث أعتاد الوقوف بين روّاده، أوجه لهم الكلام بنبرة الواعظ، محذرًا إياهم مما أعتبره "عاقبة" الانشغال بالأغاني ولعب الدومينو، كنت عن عمد أطيل المكوث كي يتسنى لي سماع الأغنية كاملة (جرجيس، 2019، ص. 16).

يستحضر الروائي الفنان العراقي ناظم الغزالي وأغنيته الشهيرة "ميحانه"، التي تعد من أشهر المواويل العراقية، وتغنى في المناسبات الشعبية وتعكس الحزن والحنين، استدعاؤها هنا يربط النص بالذاكرة الجمعية العراقية. النص الروائي الذي يستدعي أغنية "ميحانه" يكشف عن ازدواجية الراوي بين الوعظ الرسمي والحنين الشعبي، فهو يتظاهر بالتحذير من سماع الأغاني ولعب الدومينو، لكنه في داخله يذوب مع خيال الفتاة ويطرب لصوت المطرب ناظم الغزالي، الأغنية هنا ليست مجرد خلفية موسيقية، بل موروث شعبي يربط السرد بذاكرة العراقيين الجمعية، وكيف تتكون رقص نوفا هذه؟ علمني هيا "، قالت بإلحاح.

فرد صبيح:

-رقصة نوفا عذاب في عذاب يا ماريانا.

-كيف؟

كان صبيح يوجّه حديثه لماريانا بنبرة آمرة، طالبًا منها أن تعدّل هيئتها وتترك شعرها منسدلًا مع الهواء ثم قال لها وهي في مواجهته: هكذا، الآن أصبحت جاهزة لما يريد وبعدها أخذ يلقّنها حركات معينة ويطلب منها أن تكررها معه، مرددًا عبارات ذات إيقاع ساخر يتناقلها الصبية فيما بينهم، في أجواء يغلب عليها الاستعراض والسيطرة أكثر من أي معنى آخر وقال لها رددي معي: ضاع صول چعابنا وخرب لعبنا ، ضاع صول چعابنا وخرب لعبنا (جرجيس، 2019، ص.33).

النص الذي يصف رقصة "نوفا" يكشف عن توظيف ساخر ومأساوي للموروث الشعبي داخل السرد الروائي. هنا تتداخل مفردات شعبية مثل شد الوزار، نثر الشعر، وضرب الصدر، مع مقطع من الموال الشعبي "ضاع صول چعابنا وخرب لعبنا"، ليحوّل الرقصة من فعل فرح إلى فعل مرثي، اختيار هذا المقطع الشعبي ليس اعتباطياً، فهو يحمل دلالة جماعية عن الخراب وضياع النظام، ويُستحضر في النص ليعكس انهيار القيم واللعب بالحياة، بهذا يصبح الموروث الشعبي أداة سردية تكشف التناقض بين الفرح المفترض والحزن العميق، وبين الطقس الجماعي والخراب الفردي، ليؤكد أن الأغنية الشعبية هنا ليست مجرد خلفية، بل رمز لانكسار الجماعة وفضح عبثية الواقع.

ثانياً: الجانب الاجتماعي:

شكّل الموروث الشعبي في جوهره مرآةً صادقة لحياة الجماعة، فهو ليس مجرد حكايات تُروى أو أمثال تُتداول، بل هو منظومة اجتماعية متكاملة تحفظ قيم المجتمع، وتكشف عن طبيعة العلاقات الإنسانية فيه، وتوثّق ملامح الحياة اليومية التي قد تغيب عن السجلات الرسمية ومن هنا، فإن دراسة الجانب الاجتماعي

من الموروث الشعبي في القصة القصيرة، كما يتجلى في نصوص الكاتب أزهر جرجيس ضمن مجموعته فوق بلاد السواد، تتيح لنا فهماً أعمق لكيفية تفاعل الأدب مع المجتمع، وكيف يوظّف القاص عناصر التراث الشعبي ليعيد إنتاج صورة الجماعة في نص أدبي حديث (ينظر: قانصو، 1995، ص. 37)

1-الموروث الشعبي كذاكرة جماعية:

يشكّل الموروث الشعبي ذاكرةً اجتماعية حيّة تربط الماضي بالحاضر، إذ يحفظ قيم الجماعة ويكشف طبيعة العلاقات الإنسانية، ومن خلال هذا البعد، يمكن قراءة نصوص أزهر جرجيس في فوق بلاد السواد بوصفها إعادة إنتاج لهذه الذاكرة، وبالاستناد إلى هذا الإطار، يصبح تحليل نماذج من الرواية مدخلاً لفهم كيف يوظّف التراث الشعبي في بناء رؤية اجتماعية معاصرة، فتناول الكاتب هذه الحالة الاجتماعية في قصة (شريف البشتي) إذ يقول: في ليالي الجمع جرت العادة أن يعتلي المنبر خطيب القرية، الملا عودة البشتي، كان صوته يفت الصخر بحسب وصف أهل القرية كناية عن نبرة الحزن فيه. وعندما شرع الملا بقراءة المصيبة طأطأ الحاضرون رؤوسهم شروعاً بالبكاء، أو التباكي كما أوصاهم ملا عودة بذلك، ثم لحظات وضج المجلس بالنحيب كان الكل يبكي (جرجيس، 2019، ص.27).

النص الذي يصف عادة القرية في ليالي الجمع، إذ يعتلي المنبر الملا عودة البشتي، يمثّل حضورا أصيلا للموروث الشعبي كذاكرة اجتماعية في قصص أزهر جرجيس فوق بلاد السواد، فالمشهد لا يقتصر على طقس ديني، بل يعكس وحدة الجماعة وتماسكها عبر خطاب يوجّه المشاعر ويحوّل الحزن الفردي إلى ممارسة جماعية، إن وصف صوته بأنه (يفت الصخر) يبرز قوة البلاغة الشعبية في إثارة العاطفة وتأكيد عمق الوجدان الجمعي، كما أن دعوته للتباكي تكشف عن سلطة الموروث في صياغة السلوك الاجتماعي وإعادة إنتاج القيم داخل النص، بهذا يصبح المجلس رمزًا لاستمرارية التراث في تشكيل الهوية، وتجسيد العلاقة بين الفرد والجماعة، ومن هنا يتضح أن الموروث الشعبي في نصوص جرجيس ليس مجرد خلفية، بل هو ذاكرة حيّة تعكس الواقع العراقي وتعيد صياغته أدبيًا.

2-الطفولة في مرايا الموروث الشعبي والذاكرة الجمعية:

تمثل الطفولة في مرايا الموروث الشعبي والذاكرة الجمعية مرحلة أولى تتجلى فيها تصرفات الأولاد من لعب وشغب وبطولات صغيرة تحاكي أفعال الكبار، إذ يظهر بعضهم متأثراً بسلوكيات الأهل في جرأة أو حدة المواقف، فيما ينغمس آخرون في مشاغبات يومية تعكس براءة الطفولة واندفاعها، ومن خلال هذه الصور، يغدو الطفل رمزاً لاستمرارية الهوية الجماعية، إذ تحفظ الذاكرة الشعبية تلك السلوكيات وتعيد إنتاجها في الحكايات والأمثال بوصفها جزءًا من ملامح المجتمع عبر الأجيال، يصور لنا جرجيس بعض المشاهد الدرامية التي تحدث في الطفولة بهذا النص من قصة (زنوبة الحمرة):

في سنوات الطفولة، كان البقاء دون انتماء إلى مجموعة قوية يعني التعرّض المستمر للمضايقات، إذ كان هذا هو المنطق السائد آنذاك. وكانت المدرسة مقسّمة فعليًا بين ثلاث جماعات رئيسية: مجموعة رحيم زعماك، ومجموعة فاضل خيسة، ومجموعة محمد دكمة، كان زعماك يتميّز ببنية طويلة وبشرة سمراء، وكان لا يفارق السكين جيبه، متصرفًا بجرأة واضحة دون اكتراث بالآخرين. تأثر كثيرًا بالأفلام الهندية، وبشكل خاص بشخصيات البطل أميتاب، فكان يقلّد حركاته ويعيد تمثيلها علينا. وقد كانت مجموعته الأكثر نفوذًا داخل المدرسة وخارجها، نظرًا لضمّها عددًا من أكثر الفتية شراسة، مثل عرفان أبو الططو، وحيدر كراتيه، وصباح نومي، في المقابل، كانت مجموعة فاضل خيسة تمثّل قوة موازية، إذ كانت تحظى بدعم مباشر من معاون المدير الأستاذ رحيم، بسبب صلة قرابة تجمعهما. ولهذا السبب، كان زعماك يتجنب الاصطدام بفاضل خيسة أو أفراد مجموعته خلال الدوام المدرسي، خشية من نفوذ الأستاذ رحيم، مما جعل أغلب المواجهات بين الطرفين تنتقل إلى خارج حدود المدرسة (جرجيس، 2019، ص.50).

النص يعكس جانبا اجتماعيا مهما من الموروث الشعبي كما صوّره أزهر جرجيس في فوق بلاد السواد، إذ يقدّم صورة عن الطفولة في سياقها الشعبي، إذ تتشكّل العصابات المدرسية كامتداد لعالم الكبار، بما فيه من سلطة وقوة ونفوذ، يظهر التنمر هنا كمنطق اجتماعي سائد، يفرض على الطفل الانتماء إلى جماعة تحميه، وهو ما يعكس طبيعة العلاقات القائمة على القوة والهيمنة. شخصية (زعماك) تمثل نموذجا للفتى المتأثر بالثقافة السينمائية الهندية، فيحاكي أدوار البطولة ويعيد إنتاجها في سلوكياته اليومية، مما يكشف عن تداخل الموروث المحلي مع المؤثرات الثقافية الوافدة، كما أن وجود عصابة مدعومة من أحد

المعلمين يبرز كيف تتداخل السلطة الرسمية مع العلاقات الشعبية، لتعيد تشكيل موازين القوة داخل المدرسة وخارجها. بهذا، فإن النص يقدّم الطفولة بوصفها مرآة للموروث الشعبي والذاكرة الجمعية، إذ يتجلى الشغب والبطولة والتأثر بالكبار في صورة اجتماعية تعكس طبيعة المجتمع العراقي وتحوّلاته.

وفي مشهد آخر من قصة شريف البشتي، يقول: لم يكن مرضياً عنه لدى أبيه، كان يجلس في الديوان والعلكة تدور في فمه وعندما ينهره أبوه، يخرج العلكة ويلصقها بعباءة أحد الضيوف ويغادر، شريف ابن الحاج سعدون البشتي، والذي يلقبه أهل القرية بـ (أشريف الطويل)، كان بارعاً في صناعة المقالب بجلاس أبيه الحاج سعدون، كبير عشيرة آل بشتي وسيدها (جرجيس، 2019، ص. 40)

النص يقدّم صورة اجتماعية من قصص أزهر جرجيس فوق بلاد السواد، إذ تتجلى الطفولة في مرايا الموروث الشعبي والذاكرة الجمعية عبر شخصية شريف ابن الحاج سعدون البشتي، فالمشهد يبرز سلوكيات الصغار الممزوجة بالشغب والجرأة، إذ يجلس في الديوان أمام الكبار ويمضغ العلكة غير مبالٍ، ثم يفتعل مقلبا ساخرا بلصقها بعباءة أحد الضيوف قبل أن يغادر، هذه التصرفات تكشف عن روح الطفولة المشاغبة التي لا تخضع تماماً لسلطة الأب أو الأعراف، بل تحاول إثبات حضورها عبر المقالب والتمرد الطفولي كما أن لقب (أشريف الطويل) الذي أطلقه أهل القرية عليه يعكس كيف تتحول سلوكيات الأطفال إلى علامات مميزة تحفظها الذاكرة الشعبية، لتصبح جزءًا من الحكايات المتداولة عن أبناء العشيرة. بهذا، فإن النص يوضح كيف يوظّف جرجيس الطفولة كمرآة للموروث الشعبي، إذ تتداخل البراءة مع الشغب، واللعب مع التحدي، لتشكّل صورة اجتماعية حيّة عن علاقة الأبناء بالكبار وعن استمرار هذه الملامح في الذاكرة الجمعية.

-النتائج:

1-بيّن البحث أن الموروث الشعبي في كتاب فوق بلاد السواد، يمثل ركيزة أساسية في تشكيل الهوية الثقافية العراقية، إذ يعكس تقاليدهم وقيمهم الإنسانية، ويعد الموروث بمثابة ذاكرة جماعية تحافظ على القيم الاجتماعية والمعتقدات.

2-تمت الإشارة إلى كيفية توضيح نصوص أزهر جرجيس عن التوتر بين القيم التراثية والواقع المعاصر، مما يجعل القصة القصيرة وسيلة فعالة للتوضيح عن هذه الصراعات.

3-استغل جرجيس القصة القصيرة كميدان لإعادة صياغة العناصر التراثية بلغة معاصرة، مما يسهم في توطيد حس الانتماء والوعي الثقافي بين الأفراد.

4-بيّن البحث العلاقة الوثيقة بين الموروث الشعبي والحياة اليومية، إذ تعد القصص أداة للتعبير عن الواقع الاجتماعي وتجارب الأفراد.

-التوصيات:

1-الاستمرار بمواصلة البحث في مجالات الموروث الشعبي وطرق دمجه في الفنون الأدبية المختلفة، نظراً لأهميته في تشكيل الهوية الثقافية والحفاظ عليها.

2-يستحسن توسيع مجالات الدراسات التي تتناول الموروث الشعبي في الأدب العربي بصفة عامة، لفهم التفاعل بين الثقافة المحلية والحداثة.

3-تشجيع الكتاب المعاصرين على توظيف الموروث الشعبي كجزء جوهري من أعمالهم، نظرا لتأثيره الإيجابي في تعزيز الهوية الثقافية والحفاظ على القيم المجتمعية.

4- تضمين عناصر من التراث الشعبي في المناهج الدراسية، لتعميق فهم الجيل الجديد بالقيم والتقاليد التي تعكس الثقافة العراقية.

-المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

-المقري، أحمد بن محمد، د.ت، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الثانوي، دار المعارف، القاهرة، مصر.

-أبو طالب، إبراهيم، 2004، الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية دراسة في التفاعل النصي، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن.
-مبروك، مراد عبد الرحمان، 1991، العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر، دراسة نقدية دار المعارف، القاهرة، مصر.
سليمان، حسن محمد، 1988، التراث العربي الإسلامي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
-نعمان، أحمد، 1997، نفسية الشعب الجزائري ، دار الأمة ، الجزائر.
-دورتيه، در جان فرنسوا، 2011، معجم العلوم الإنسانية ، ترجمة: جورج كثورة ، مجد المؤسسة الجامعية لنشر والتوزيع، بيروت.
-جواد، طاهر علي (1975) القصص العراقي المعاصر، دار الحرية للطباعة، بغداد: العراق.
-حنفي، حسن، 2002، التراث والتجديد وموقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
-قانصو، أكرم، 1995، التصوير الشعبي العربي عالم المعرفة، الكويت، د ط
-جرجيس، أزهر، 2019، فوق بلاد السواد، دار الرافدين، بيروت، لبنان.
-عزيزة، مريدان (1980م)، القصة والرواية، دار الفكر، دمشق: سوريا.
-النتاج، حامد السيد،(د.ت)، تطور القصة القصيرة في مصر من 1910-1933. القاهرة، مصر.
-مرزوقة، محمد، 1989، إثر التراث الشعبي في بناء الرواية الجزائرية، رسالة ماجستير كلية الآداب قسم اللغة العربية، جامعة عين شمس، مصر.
-العبطة، محمود (1971م)، رائد القصة وكتاب العصر، مجلة الكتاب، بغداد: العراق.
-جدعان، محمد ياس، 2024، المكان في رواية 30نوفمبر للروائي أحمد علاء الدين، جامعة الرازي كرمانشاه في إيران.
- العنتيل، فوزي، 1965، الفولكلور دراسات في التراث الشعبي، دار المعارف، مصر: القاهرة.
-هولترانس، إيكه، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور المعرفة، مصر.

Sources and References:

- The Holy Quran.
- Al-Muqri, Ahmad ibn Muhammad, n.d., Al-Misbah Al-Munir fi Gharib Al-Sharh Al-Kabir lil-Rafi'I, edited by: Abd Al-Azim Al-Thanawi, Dar Al-Ma'arif, Cairo, Egypt.
- Abu Talib, Ibrahim, 2004, Al-Mawruthat Al-Sha'biyya Al-Qasasiyya fi Al-Riwaya Al-Yamaniyya: Dirasa fi Al-Tafa'ul Al-Nasi, Publications of the Ministry of Culture and Tourism, Sana'a, Yemen.
- Mabrouk, Murad Abd Al-Rahman, 1991, Al-Ansar Al-Turathiya fi Al-Riwaya Al-Arabiyya fi Misr: Dirasa Naqdiyya, Dar Al-Ma'arif, Cairo, Egypt.
- Sulayman, Hassan Muhammad, 1988, Al-Turath Al-Arabi Al-Islami, Diwan Al-Matbu'at Al-Jami'iyya, Algeria.
- Nu'man, Ahmad, 1997, Nafsiyyat Al-Sha'b Al-Jaza'iri, Dar Al-Umma, Algeria.
- Dortier, Jean-François, 2011, Mu'jam Al-'Ulum Al-Insaniyya, translated by: George Kathoura, Majd Al-Mu'assasa Al-Jami'iyya li-Nashr wa-Al-Tawzi', Beirut. – Jawad, Taher Ali (1975) Contemporary Iraqi Short Stories, Dar Al-Hurriya Printing House, Baghdad, Iraq.

- Hanafi, Hassan, 2002, Heritage and Renewal: Our Stance on Ancient Heritage, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon.
- Qansou, Akram, 1995, Arab Folk Photography, Alam Al-Ma'rifah, Kuwait, n.d.
- Jirjis, Azhar, 2019, Above the Land of Darkness, Dar Al-Rafidain, Beirut, Lebanon.
- Aziza, Muridan (1980), The Short Story and the Novel, Dar Al-Fikr, Damascus, Syria.
- Al-Nataj, Hamed Al-Sayed, (n.d.), The Development of the Short Story in Egypt from 1910-1933, Cairo, Egypt.
- Marzouqa, Muhammad, 1989, The Influence of Folk Heritage on the Construction of the Algerian Novel, Master's Thesis, Faculty of Arts, Department of Arabic Language, Ain Shams University, Egypt. – Al-Abta, Mahmoud (1971), A Pioneer of the Short Story and the Writer of the Era, Al-Kitab Magazine, Baghdad, Iraq.
- Jad'an, Muhammad Yass, 2024, Place in the Novel "November 30th" by the Novelist Ahmed Ala'a El-Din, Razi University, Kermanshah, Iran.
- Al-Antil, Fawzi, 1965, Folklore: Studies in Popular Heritage, Dar Al-Ma'arif, Cairo, Egypt.
- Holtrans, Eike, Dictionary of Ethnological and Folklore Terms, translated by Muhammad Al-Jawhari and Hassan Al-Shami, General Authority for Knowledge Palaces, Egypt.